(٥) أسرار أزمة الأمة الإسلامية 1

د. راغب السرجاني:

لا شك أن هناك تساؤلات كثيرة جدًا في اذهان الكثيرين، إذا كنا على هذه الصورة الكبيرة، وإذا كنا قد وصلنا إلى هذا الوضع المُهر في تاريخ الإنسانية، فلماذا وصلنا إلى ما نحن عليه الآن من تبعية للغير وإتباعٍ للغرب والشرق، ومن تدني في أمور كثيرة حتى وصل التدني للأسف الشديد إلى أمور أخلاقية وأمور دينية ما ينبغي أبدا لأمة الإسلام أن تتدنى إليها.

ما سر الأزمة وما هو السبب في هذا البَون الشاسع بين ما ينبغي أن نكون عليه وبين واقعنا الآن؟

(غياب العلم)

د. صلاح سلطان:

إن أول سبب لوصولنا لهذه الأزمة هو تركنا الكلمة الأولى التي نزل بها القرآن.

في الإنجيل يقولون "البدء كان هذه الكلمة"، ونحن في القرآن البدء كان{إقرأ}.

فمن أين تبنى الأمم ومن أين تنهار الأمم؟

إذا كان العلم هو سر بناء الأمم، فإن الجهل هو سر انهيار الأمم وضياع هيبة الأمة.

أنا لا أجد أبدًا عُذرًا لمسلم في أمة إقرأ أنه لا يقرأ، لا كبير ولا صغير، والقراءة ليست قضية هوى، فنجد أحدهم يقول:" أنا لا أحب القراءة"، وصارت عند الشباب كلمة يقولونها دائما.

د. راغب:

لدي كتاب صغير اسمه (القراءة منهج حياة)، وفي بداية الكتاب أذكر أني ذكرت فيه فصل (القراءة ليست هواية)، فلا يجب أن نقول "ربما أقرأ" ،فالقراءة مثل الأكل والشرب هي أمر لازم ليس فيها خيار.

وبداية لا يعقل أن لا يُقرأ القرآن الدستور الأسمى الذي نزل فيه أول ما نزل بكلمة إقرأ، وهذا اختيار رباني، فالقرآن الكريم به مئات وآلاف الأوامر من ربنا سبحانه وتعالى، لكن لماذا يختار هذا الأمر ليبدأ به الكتاب؟!، ليس شيء عشوائي، بل هو بحساب وبقدر.

د. صلاح:

يجب أن يستقر في حس المسلم، إنه كما يأكل وبعد الأكل يحتاج للشرب ومع الأكل والشرب يحتاج إلى التنفس، فيجب أن يكون هذا التنفس بالنسبة له هو علاقته بالله، {وَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} [الأنعام: ١٢٢]

المياه يجب أن تكون لغذاء العقل العلم والفكر والتدبر، وكل ما يتم إنفاقه على البيوت والملابس كل هذا لغذاء الجسد، وتكون مصيبة كبيرة عندما يذهب دخل الأسرة كله إلى غذاء الجسد فقط، {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ} [محمد: ١٢] فهذا منهج الكافرين وليس منهج المؤمنين.

أما منهج المؤمن هو أن يحافظ في دخله ووقته وجهده على هذه المنظومة الثلاثية كما قال رسول الله صل الله عليه وسلم: «ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطنٍ، بحسبِ ابنِ آدمَ أكلاتٍ يُقمنَ صُلبَهُ، فإن كان لا محالةَ: فثلُث لطعامِه، وثُلُثٌ لشرابِه وثُلُثٌ لنفَسِه».

الراوي: المقدام بن معد يكرب الكندي

المحدث: الترمذي

المصدر: سنن الترمذي

الصفحة أو الرقم: ٢٣٨٠

خلاصة حكم المحدث: حسن صحيح

و أن المؤمن علاقته بالله هي كعلاقته بالنفس، فلا يستغنى عن الله لحظة، وبالتالي لا يستطيع أن يستغنى عن العلم إلا إذا استغنى عن الماء.

عندما نلاحظ أن مادة (عَلِمَ) في القرآن الكريم تصل إلى أكثر من ٣٦٥ مرة، ومادة التدبر والتفكر حوالي ٥٠٠ مرة

ومفردات مادة إقرأ وعلم وتعلم وتدبر وتفكر وسأل تصل إلى ٢٠٠٠ موضع، إذن فالقراءة ليست هواية بل هي واجب شرعي، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : «اَلنّاسُ رَجُلانِ: عالِمٌ ومُتَعَلِّمٌ ولا خَيْرَ فيما سِواهُما».

الراوي: عبدالله بن مسعود

المحدث: الألباني، المصدر: ضعيف الجامع

الصفحة أو الرقم: ٥٩٨٢

خلاصة حكم المحدث: موضوع

إذا أخذنا الدائرة الضيقة في الأمة الإسلامية وهي الأمة العربية، فهناك ٣٠٠ مليون عربي منهم ١٠٠ مليون عربي لا يقرأون ولا يكتبون، وهذه كارثة، عندما تصل نسبة الأمية في الاتحاد السوفيتي الشيوعي ١%، وتصل في بلد مثل بنما نسبة الأمية فيها١% وكذلك نيوزيلاندا، وكوبا٠%، وهذا لأنهم أعلنوا الثورة على الجهل، أما نحن لدينا زخم رهيب جدا يوجِب اننا لا بد وأن نبدأ مشوار العلم والتعلم.

د. راغب:

لماذا لدينا هذه المشكلة؟ ولماذا وصلنا إلى هذه الحالة المتردية في القراءة والكتابة؟

لماذا هذا البَون الشاسع ما بين {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} فالخمس آيات الأولى تتحدث عن قضية العلم في الأساس، وبين وضع أمة الأن لا تقرأ مجرد القراءة ولا تكتب مجرد الكتابة؟

ما السر في هذه الأزمة، لأننا عندما نعرف السر سنعرف العلاج؟

الحقيقة أنني أرى الأمة مهملة في قضية العلم إهمال أودى بها إلى هذه المهالك، لماذا أهملنا هذا الأمر، ما سر هذا الأمر؟

د. صلاح:

الحقيقة أن الوضع الذي نعيشه الآن هو وضع جعل الإنسان الطبيعي مُستغرق في الجانب المادي، فهو لا يفكر إلا فيما يعود عليه بالدخل المادي.

هناك كثيرًا من الشباب تركوا الدراسة والتعليم في سبيل العمل وكسب المال، لكن على الإنسان أن يتحدى، فأعلم من الشباب من يعمل في مكان ما لكن يحرص على العلم والتعلم.

وانا الحقيقة عملت في وقت من الأوقات في مطعم ما وكنت اقول للرجل الذي أعمل لديه "حدد لي الوقت الذي سأعمل فيه، لأني لابد أن أقرأ، لأنني أن مر علي يوم ولم أقرأ أمرض"، وإلى هذا اليوم عندما تتغير حالتي النفسية قليلا زوجتي تقول لي: "خذ هذا الكتاب واقرأ لعلك تستريح فترجع لحالتك الطبيعية خاصتك."، وإن مر علي يوم ولم أقرأ أشعر أني في حالة مرضية، وأكثر من هذا أنه لم يكن هناك لي مكان أنام فيه فكنت أنام في سطح منزل الرجل الذي كنت أعمل لديه.

وكنت دائما احول المحنة إلى منحة والأزمة إلى فرصة، وأصحبت عندي هذه المنهجية، وقتها قلت لنفسي أنها فرصة لأتدبر في السماء، فالله يقول {ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ } [الملك: ٣]، وإلى اليوم أحب السماء حبًا شديدًا وأعشق التقرب إلى ربي من خلال النظر إلى السماء، فهي تعطيني قدر من الصفاء والراحة والطمأنينة ويقدر ربي أن معظم الوقت أسافر في السماء.

أتمنى من الشباب أن يتحدى، وليس فقط الشباب بل الزوجات في البيوت، فأنتِ عندما تقرئين خمسة أو ستة كُتب لا تنظري نظرة مادية وكم سيعود عليكِ من مال، لأنكِ ستتعلمين كيف تتعاملي مع زوجك وابنك ووالدك وامك وجارتك وستتغير سلوكياتك كلها، لأن الإنسان كله يتغير بمجرد وصول المعلومات إلى نفسه.

ولهذا فربط العلم بالعائد المادي اصبح عائق كبير جدا.

د. راغب:

دعني أقول سرًا ما عني، في فترة دراستي الدكتوراه في امريكا كنت أعمل في تجارة السيارات، وكما تعلم دراسة الدكتوراه أول سنتين بها تكون على حساب الحكومة والسنة الثالثة على حسابي الشخصي فكان علي أن أكمل الدراسة خاصة أن مادة الدكتوراه التي كنت اعمل عليها لم تكن موجودة في مصر، لأني أن عدتُ وقتها إلى مصر فستضيع عليّ الدكتوراه، وكان علي الاستمرار وكان لدي عائلة وثلاثة أولاد وقتها، فكنت في حاجة كبيرة جدًا للمال لهذا عَمِلتُ في مجال السيارات، فكنت أقوم بشراء السيارات من سوق السيارات وأبيعها في الجرائد أو أي طريقة من طرق البيع في وقت الفراغ كنت أذاكر الدكتوراه.

والحمد لله بعد ٣ سنوات انهيت الدكتوراه وعدت بمبلغ مالي جيد من تجارة السيارات، واذكر أن هذه الفترة هي الفترة التي ثبتت القرآن في قلبي لأني الحمد لله كنت اتممت الحفظ في ١٩٩١ وكانت فترة السيارات من ١٩٩٤ : ١٩٩٨ فكنت اراجع القرآن الكريم وانا اسوق السيارة لمسافة طويلة جدا، وكان لدي في اليوم وقت قليل جدا للنوم والمذاكرة، والحمد لله مَرت هذه الفترة واخذت الدكتوراه وراعيت عائلتي والقرآن الكريم ثبت في قلبي.

كل هذا في الوقت الذي كان ممكن يحسب عند كثير من الناس أنه وقت ضائع أو وقت به أزمة أو وقت به أسى وألم، لكن ممكن أن تُغيره وتُحوله إلى الخير.

د. صلاح:

إذا أخذنا الجانب الرباني في قضية طلب العلم فسننتفع بهذا العلم، وأن الله يرفع بهذا العلم قوم ويخفض آخرين، وهم من تعلموا العلم وانشغلوا به ونفعوا الغير إلى الدار الآخرة.

واتمنى أن كلٌ منا يتوسد العلم لا أن يتوسد الجهل، وأن يموت عَالِمًا، وفي أي عُمر، وأن يقرأ، وهنا أقول لشبابنا ممن يسارعوا لشراء أفلام هابطة وساخطة، بدلا من أن يسارعوا لشراء الكتب للعلم، أن هذه الأشياء تزري بكم وتُسبب غشاوة على العقل والقلب، وقال الله: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} [البقرة: ٢٨٢]، وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إياكم والمعاصي أن العبد ليذنب فينسى به الباب من العلم».

نحن نحتاج إلى ربانية الجانب التعليمي والعلمي، {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}، هذا الجانب يجعل الفرد منا ينتفض على الجهل ويكون لديه أملٌ ليقرأ في كل المجالات ويتعلم ويكون مثقف الفكر، وهذا الجانب يجب أن يُعاد إحياءه في الأبناء والآباء، فتكون الأسرة كلها تقرأ ويتبادلون العلم فيما بينهم، فتكون هذه الأسرة أسرة راقية، وبتكرار هذا النموذج نصنع مجتمع راقي، ومن ثم المجتمع يصنع حكومة صحيحة متميزة.

نحن نتفق دائما أن التغيير لن يأتي أبدًا من الخارج، بل أن الخارج لو دخل سيفسدون، كما قال الله تعالى: {وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ} [آل عمران: ١١٨] وقال: {مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ} [البقرة: ١٠٥]، وهذا يعني أن الخير لن يأتي لنا من غير المسلمين.

وقال الإمام الشافعي: "ما حك جلدك مثل ظفرك فتول انت جميع امرك".

فيجب أن نحفر في طلب العلم وطلب العلم يستوجب السهر والتعب، ولهذا قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: (طلب العلم عبادة ومذاكرته تسبيح والسعي إليه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقه)، فيجب علينا إحياء العلم .

وفي صحيح البخاري نجد أن بعد كتاب الإيمان مباشرة يأتي كتاب العلم، وكأنه يقول لك: انتبه!.

د. راغب:

وأيضا قضية الإيمان وأن (لا اله الا الله) لا بد لها من علم، فلا يستطيع المرء أن يعبد ربنا عز وجل إلا بعد علم.

وأنا رأيت في تاريخ المسلمين قضية مثل قضية الخوارج، فالخوارج كانوا يلقون بأنفسهم في مهالك شديدة جدا، ويُضحون بأرواحهم ويموتون موت الجريء والشجاع وماذا كانوا يفتقدون؟!، كانوا يفتقدون العلم، فهم عندهم جهل كبير، فوضعوا الآيات في غير محلها، وقاموا بتأويل أحكام فقهية في غير محلها، فنتج عن ذلك تكفير عظماء من الصحابة وقتل أخيار الصحابة، وامتحان المؤمنين في اشياء لم يجب أن يمتحنوا فيها، ولهذا سماهم العلماء الخوارج، ولهذا قال عنهم رسول الله صل الله عليه وسلم: «يمرُقون من الدِّينِ كما يمرُقُ السَّهمُ من الرَّمِيَّةِ».

الراوي: علي بن أبي طالب

المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم

الصفحة أو الرقم: ١٠٦٦، خلاصة حكم المحدث: صحيح

وكل هذا بسبب افتقارهم للعلم، العلم عندما فقدوه ذلوا وسقطوا وضاعوا وأضاعوا معهم أجيال كثيرة جدا من الأمة الإسلامية.

د. صلاح:

أذكر أن أول اسبوع التحقت فيه دار العلوم وبدأت من أول أسبوع كنت اقوم بأنشطة واكون جماعة للخطابة.

فأتاني شاب وقال لي: نحن نريدك معنا فانت يبدو عليك أنك شابا جيدا وبك خير كثير.

قلت له: ما الأمر؟

قال لي: نحن جماعة تكفير وهجرة ونريد أن تنضم معنا

قلت له: ما هي مبادئ هذه الجماعة

قال لي: نحن نُكَفِرُ المعصية ،ونلجأ إلى الجبال للتدريب، ونسقط على الأنظمة... وبدأ يشرح لي منهاجيتهم من أول مرة يراني وحتى من قبل أن نعرف أسماء الآباء!

سبحان الله العظيم وانا في مثل هذا السن،١٧ سنة، وقلت له: انتم تكفرون بالعصية؟!

قال: نعم

قلت له: ماذا تقول في قوله تعالى في سورة الحجرات: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [الحجرات: ٩] والقتل من السبع الموبقات، ومع ارتكابهم لواحدة من السبع الموبقات لم يُنزَعَ عنهم صفة الإيمان.

والإمام البخاري في كتاب الإيمان أتى بباب (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) ثم يقول (فسماهم المؤمنين) والبخاري ليس محدثا فقط إنما هو فقيه شافعي.

ثم في القتل يقول الله: {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ} [البقرة: ١٧٨]، فلماذا أنتم تُخرجون الناس من هذه الرحمة.

وعندما ذكّرته بهذا قال لي: انت لن تنفع معنا أبدًا.

قلت له: الحمد لله.

لهذا فأنا أقول لكم، أبنائكم يجب أن تعلموهم وتُنشؤهم ولا تتركوهم للأفلام واللعب، وعندما تعلموهم القرآن، فأنتم بذلك تستروهم، كما قال الله: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا} [الإسراء: ٤٥]

أولادك ربنا سيسترهم بحجاب أنت نفسك لن تراه ولا المفسد ولا المشرك، قال الله: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} [الرعد: ١١]

فالعلم يبدأ من هنا.. من القرآن الكريم.

(أثر الاستعمار والضغط الخارجي)

د. راغب:

إذًا لماذا حدثت هذه الفرقة بين المسلمين وبين هذا القرآن الكريم العظيم؟

أريد أن أفهم سر المشكلة، فنحن في غضون المئة سنة السابقة حدث نوع من الانحدار الشديد في الأمة الإسلامية وحدث نوع من الخصام أو الشقاق بيننا وبين كتاب رب العالمين سبحانه وتعالى، وترك الناس هذا الكتاب سنوات طويلة والحمد لله عدنا إلى هذا الكتاب في هذه الأيام، وأسأل الله أن يَمُنَ على المسلمين بصحوة أكثر حتى نعود إلى ما ينبغي أن نكون عليه.

هل يمكن أن أقول أن أصل المشكلة هو أننا استُعمِرنا سنواتٍ طويلة؟

وإن كنت لا أحب أن أُحَمِل أخطاءنا على أكتاف الأخرين لكن بالتأكيد كان هناك مشكلة عانينا منها في خلال فترة الاستعمار.

د. صلاح:

من خلال الباحثين والموضوعيين يجب أن نذكر الوضع الخارجي والضغط الخارجي، وكنا قد ذكرنا سابقًا في البناء الحضاري، أن الخلفاء العباسيين والأندلسيين كانوا يعطوا العلماء من الأموال ويفتحون الأبواب لهم ويعطونهم الفرص، فسار هناك مناخ حرية ومناخ مادي متميز، ومناخ علمي حتى اصبح هناك استثمار للعقول المبدعة ووضع اعتبار لهؤلاء.

أما نحن في مصر فقد عشنا مناخًا من أردأ ما يمكن أن يكون، حتى كان من يحفظ القرآن كاملًا يُسجن ٢٥ سنة ومن كان يحفظ سورة التوبة يُسجن ١٠ سنوات سجن، فكان هناك قهر سياسي حاد وشديد جدًا، لأن كان هناك رغبة في تنشئة أجيال ليست فقط معزولة عن القرآن، لكن أجيال لا تؤمن بوجود الله.

فالفكر الشيوعي الذي بدأ بالثورة الشيوعية البلشفية في ٢٣ اكتوبر ١٩١٧، أرادوا توصيله للجميع حتى أنهم أوصلوه إلى اليمن.

وهناك قصة حقيقة أحب أن أذكرها حدثت في اليمن، كانوا يُعَلِموا الشيوعية للأطفال من سن ٧ سنوات،

فكان المعلم يقول للأولاد : هل ترون الكتاب؟، يقولون: نعم يا استاذ، ثم يجعل أحدهم يأخذ الكتاب إلى الخارج

ثم يسألهم مرة أخرى: هل ترون الكتاب الآن؟ فيقولون : لا يا استاذ، ثم يقول: اذا الكتاب غير موجود،

ثم يسألهم: هل ترون الكرسي؟، فيقولون نعم يا أستاذ، فيقول له: اذا الكرسي موجود، ثم يأمر أحدهم بأخذ الكرسي خارجا ثم يسألهم: هل ترون الكرسي؟، فيقولون : لا، فيقول: اذا الكرسي غير موجود،

ثم يسألهم: يا أولاد هل ترون الله، فيقولون : لا نراه، فيقول لهم: اذا الله غير موجود.

لكن الله سبحانه وتعالى يُقدِّر أن الطفل ذو السبع سنوات هذا، في اليمن ومصداقا لحديث النبي(الأيمان يمانٍ والحكمة يمنية)، فيقول الطفل باللكنة اليمنية: يا أولاد هل ترون عقل الأستاذ؟، فيقول الطلاب: لا، فيقول لهم: اذا الأستاذ مجنون لا عقل له، فلا تصدقوه عندما قال أن الله غير موجود.

إن ما حدث في بلادنا مد شيوعي، ومد علماني، ومد لا ديني ضخم جدا، ودعمته أنظمة، ويؤسفني أن أقول أنه إلى اليوم تدعمه أنظمة بشكل أو بآخر.

اليوم يتحرك الدعاة إلى الله بحرج شديد، ويتحرك المفسدون في الأرض، ولهم مناصب وميزانيات، بسعة رهيبة جدًا.

وعندما كنت مدرس مساعد في كليتي، في وقتٍ ما، أقمنا اختبار لمسابقة القرآن في جامعة القاهرة، وكان أغلب الأوائل متساويين في الدرجات، فكان الطالب منهم حافظ للقرآن كاملا ولا تجد له خطأين أو ثلاثة أخطاء في القرآن كله،

وأصابتنا الحيرة في تحديد الأوائل، فقمنا بإدخال القراءات إلى شروط المسابقة، ولم يكن مُعلن عنها في بداية المسابقة لكن كان علينا إدخالها حتى نستطيع اختيار الأوائل.

وتوقع كم كانت الجائزة لكل واحد منهم؟!، كان هذا في سنة ١٩٩٠، وكانت الجائزة ٥٠ جنيه لكل طالب! وهذا لأن ميزانية القرآن الكريم في جامعة القاهرة في هذا الوقت كانت لا تزيد عن ٥٠٠ جنيه، في حين أن ميزانية التمثيل والمسرح كانت حوالي ٣٠ ألف جنيه في هذا الوقت!

وهذا يوضح لنا ما الذي كان النظام يريده وما كان لا يريده.

ولكن يشاء الله أن رئيس الجامعة وقتها الدكتور إبراهيم سلامة، عندما قلت له: " ليس هناك داعٍ لصرف ال٥٠ جنيه لأن هذا لا يليق بالقرآن الكريم، فالطالب يحفظ القرآن كاملا ويحضر مسابقة كبيرة كهذه ثم أُعطيه ٥٠ جنيه!، أقترح أن تكون الجائزة عُمرة على حساب الجامعة." ووافق على اقتراحي، وأصبحت الجائزة هي العمرة، ومن هنا بدأ يحرص الطلاب على هذه المسابقات.

د. راغب:

هذا الأمر يعطينا بعض النور، مع الضغط ومع اصرارك على الطلب ومع حرصك أخيرا وجدت أحدًا استجاب لك واهتم بالجائزة وزادت قيمتها، ومن ثم زاد الاهتمام عند الطلاب في هذا الموضوع، وهذا يستمر بالأمل بنا أننا دائما نحاول ولا نيأس ولا نقول "الدنيا مظلمة".

دعنا نأخذ جولة تاريخية ونقول للمسلمين كيف أن غير المسلمين وأعداء الأمة عندما يحاربوننا يهتمون كثيرا بقضية العلم وارتباط المسلمين بها.

اذكر أنه عندما دخل الصليبيون المدن الإسلامية في الأندلس، إلى قرطبة وإلى غرناطة وطليطلة وأشبيليه، كان من أول أعمالهم أن أخذوا الكتب من بطون المكتبات وحرقوها في الشوارع، كتب علمية وليست كتب عقيدة إسلامية فقط، وكأنهم يريدون أن ينزعوا عن هذه الأمة أسباب قوتها.

فهم يروا أن هذه الأمة قوية أمامهم وانتصرت عليهم سابقا، وعندما بحثوا وحللوا واستعانوا بالمفكرين ليخبروهم لما انتصرت عليهم، فردوا ذلك إلى قضية العلم.

وعندما دخل الصليبيون طرابلس وفي شوارعها ومدنها أحرقوا ٣ مليون كتاب إسلامي في شتى علوم المعرفة، وكذلك عندما دخل التتار بغداد أغرقوا نهر دجلة بالكتب التي كانت في مكتبة بغداد.

وبعد ذلك دارت الدائرة وجاء المستعمرون الجدد وكانوا أذكى ممن سبقهم، فمن سبقوهم أحرقوا الكتب وأغرقوها، لكن هؤلاء سرقوا الكتب.

عندما تذهب الآن إلى مكتبة الإسكوريال في جنوب مدريد، تجد أن هذه المكتبة تحوي من المخطوطات الإسلامية أكثر مما تحويه كل المكتبات الإسلامية في العالم الإسلامي، وكذلك مكتبات اوروبا، كامبردج وسربون وبلجيكا وهولندا وبرلين

وغيرها، تحوي من المخطوطات الأصلية ما ليس عندنا، فهم أخذوا هذه المناهج ودرسوها ونقلوها واستفادوا منها وبعد ذلك صدروا لنا هذه المناهج مشوهة ومزورة.

وما يحدث الآن أنهم يُحرفون المناهج التربوية ويأتون إلينا حتى يضعوا هذه المناهج في مناهج التعليم الخاصة بمصر والخليج وافغانستان وشمال افريقيا.

وهذا كله يحدث لأنهم يعلمون أن أصل نجاح هذه الأمة هو قضية العلم.

د. صلاح:

العراق عندما دخله الأمريكان، الذين قالوا دخلنا العراق لنُحَضِّرُه، في مارس ٢٠٠٣ كان من أوائل الأشياء التي سُرِقت هي المتاحف والمكتبات وصودرت وذَهبوا بها إلى امريكا، والآن هناك مطالبة حكومية تدل على إجرام حقيقي من النظام الأمريكي في هذا الإطار.

وأنا زرت مكتبة في هولاندا في جامعة ويلز ورأيت دار المخطوطات، وقالوا لي هذه المخطوطات الضخمة أكثرها من البلاد الإسلامية، وكان هناك من قالوا لي أنهم يرصدون نحو مليون ونص مخطوط سنويا وبدون عملية شراء، بل هناك وكلاء يسرقون هذه المخطوطات.

د. راغب:

هذا أحد أسرار الأزمة التي تعيشها الأمة الإسلامية، وأعتقد أن الأسرار كثيرة والوقفات تحتاج أن تكون وقفات طويلة حتى نخرج بأمتنا من هذه الأزمة إلى ما نربو إليه ونتماه أن شاء الله لها.